قضیۃ الحجاب فی شعر الزھاوی

حافظ طارق جاوید*

حافظ افتخار احمد خان**

It is agreed fact among traditional Muslim Scholars of primitive era to current era that veil is a obligatory divine commandment to be abided by all Muslim women. However after overwhelming of western thoughts & culture over the minds & intellect of Muslim acadmicious this Muslim identity become controversial issues. A group of Muslim Scholar denied the Islamic veil practice & raise the voices against it declaring it symbol of rigidity & backwardness. The famous poet Al-Zahavi is also of second opinion & His poetry supports the modern views that are contrary of veil (Hijab) religious ritual. The article presents an analytical review of moderstic viewers of Al-Zahavi.

کانت المرأۃ فی القرن التاسع عشر حبیسۃً محجوزۃ فی بیتھا تعیش حیاۃ ھامشیّۃ، وھی کانت محرومۃ من أبسط حقوقھا وینظر الیھا نظرۃ ھوان، ویحرم المرأۃ من میراثھا ولامکانۃ لھا فی المجتمع . قد لقیت المرأۃ شتّی أشکال التعذیب،وھی صابرۃ، ولیس لھا رأی بین آراء الرجال، ولیس لھاشئی الاّطاعۃ زوجھا، ولایجوزلھا الخروج من بیتھا . ولا یحقّ لھا أن تظھر أمام الرجال، وتشارکھم فی العمل، بل حرمت من التعلیم والعمل. کانت المرأۃ حینئذٍ تعیش تحت وطأۃ العادات البالیۃ فی المجتمع العراقی.

وعند مطلع القرن العشرین استمرّ حال المرأۃ علی ماکان علیہ من القرن التاسع عشر ولم یلتفت الیھا أحد، حیث قد ظھر بعض الشعراء والأدباء فی ھذا المجال الذین أسھموا الی حدکبیر فی معالجۃ تلک المشاکل التی لحقت بالمرأۃ، وقد أرادوا أن یرفعوا الحیف الذی لحق بھا . ولیس علی الشعراء الاّ أن یدافعوا عنھا . وواحد منھم جمیل صدقی الزھاوی لعصر الحاضر . قد ولد فی العراق فی سنۃ ۱۸٦۳ وتوفّی فیھا سنۃ ۱۹۳٦ . لم یکن الزّھاوی شاعر العراق فحسب ولاشاعر مصر بل ھو شاعر الشرق وغیرھا من الأ قطار العربیۃ . ونشأ فی بیتٍ علم ووجاھۃ الذی تمیّزبالدّین والفقہ والأدب . فقد کان أبوہ محمد فیضی الزھاوی مفتیّالدارالسلام. وأمّا الزھاوی فھو الداعی إلی تحریر المرأۃ، وقد اھتم بالقضایا الاجتماعیۃ

* ریسرچ سکالر،شعبۂ عربی، گورنمنٹ کالج یونیورسٹی، فیصل آباد.

** اسسٹنٹ پروفیسر، شعبۂ عربی، گورنمنٹ کالج یونیورسٹی، فیصل آباد.

اهتماما أكثر من الجوانب الأخرى . فأولى اهتماما خاصّابالمرأة والد فاع عنها والمطالبة بحقوقها في العمل والحياة ، وقد عالج مشاكل المرأة في المجتمع العراقي الى وجوب تعليم المرأة، ودفع الحجاب وتنظيم الزواج والطلاق، منح المرأة حقوقها الاجتماعية وحريتها الطبيعية. وأمّا قضية الحجاب فهي المشكلة الأولى التي عالجها الزّهاوي وهذا هو موضوعنا هنا، الآن نبدأ الحديث بكلمة الحجاب لغةً واصطلاحاًوالمتعلقات التي تتعلّق بها.

وأمّا الحجاب فمعناه لغةً الّذي بيّنه ابن منظور الأفريقي في كتابه "لسان العرب" فقال:

"حجب: الحجاب: الستر. حجب الشيء يحجبه حجباً وحجاباً. وحجبه: ستره. وقد احتجب وتحجّب إذا اكتن من وراء حجاب"(١)ومعناه الاصطلاحي"فالحجاب كل ماستر المطلوب، أومنع من الوصول اليه. ومنه قيل للستر حجاب، لمنعه المشاهدة، وقيل للبواب حاجب، لمنعه من الدخول . وأصله جسم حائل بين جسمين"(٢) وفي الكليات: "كل مايستر المطلوب ويمنع من الوصول اليه فهو حجاب"(٣) الآن نذكر هي الألفاظ التي تتعلّق بكلمة الحجاب. أوّلا نذكر الخمار للمرأة، فهو النصيف ، وقيل: الخمار ماتغطى به المرأة رأسها "ومنه خمار المرأة والخمر لانها تغطي العقل" .(٤) وأمّا النقاب فعندالعرب، هوالذي يبدومنه محجرالعين، "ومعناه أن إبداء هن المحاجر محدث،إنما كان النقاب لاحقا بالعين، وكانت تبدو إحدى العينين، والأخرى مستورة ،والنقاب لايبدو منه إلا العينان ، وكان اسمه عندهم الوصوصة، والبرقع، وكان من لباس النساء، ثم أحدثن النقاب بعد"(٥) وأمّا الحلباب فهو ماتغطى به المرأة الثياب من فوق كالملحفة وقيل: هو الخمار وقيل: حلباب المرأة: ملأتها التي تشتمل بهاوواحدها حلباب . والحلباب أيضاً: الرداء وقيل: هو كالمقنعة تغطى به المرأة رأسها وظهرها وصدرها وقيل الحلباب:ثوب أقصر من الخمار وأعرض منه، وهو المقنعة.(٦) وقال القرطبي في تفسيرة: "الحلابيب جمع حلباب وهو ثوب أكبر من الخمار وروى عن ابن عباسؓ وابن مسعودؓ أنه الرداء، وقد قيل إنه القناع، والصحيح أنّه الثوب الذي يسترجميع البدن".(٧)

وأمّا كلمة الحجاب فقد ورد في القرآن سبع مرات ونذكرهنا بعض الآيات منها وهي:"وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا"(٨) والمعنى: حجاب ينزل على الكفار فيمنعهم من فهم مايتلى عليهم من

آيات."وَمَاكَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللّٰهُ اِلَّا وَحْيًا اَوْ مِنْ وَّرَآئِ حِجَابٍ"(٩) ومعنى الحجاب هنا: سماع الكلام دون مشاهدة شئ ."وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْاَعْرَافِ رِجَالٌ يَّعْرِفُوْنَ كُلًّا بِسِيْمٰهُمْ"(١٠) أى أن أصحاب الجنة وأصحاب النار سيفرق بينهما سور أو حاجز يوم القيامة.

الآن نحاول أن نعلم ماذا أحكام الحجاب في الإسلام حسب القرآن الكريم والسنّة .

إنّ حجاب المرأة المسلمة فرض على كل من بلغت سنّ التكليف، وهو السن الذى ترى فيه الأنثى الحيض . وقد وردت آيات وجوب الحجاب في القرآن الكريم بوضوح . قال الله تبارك وتعالى: ((وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ اَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ وَلَا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ اِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلٰى جُيُوْبِهِنَّ))(١١)فالمراد بالخمار غطاء الرأس، ومعناه أنّها تغطي بخمارها وجهها ونحرها، لأنّ نساء الجاهلية كن يكشفن نحورهن وصدورهن ويسدلن الخمار من وراءهن، ولذلك قال الله تعالى: " وَقَرْنَ فِيْ بُيُوْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْاُوْلٰى"(١٢) وأمّا الحديث فإنّ أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صَلّى اللّٰه عليه وسلم وقال يا أسماإن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منهاإلّا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه".(١٣)

ومن الأمور التي وقع الاختلاف حولها في قضية الحجاب أيضًا بعض الألفاظ والمعاني وهي: وكلمة الجيب الذى وردفي الآية: "وليضربن بخمرهن على جيوبهنّ" فالجيب هو موضع الصدر، وموضع الفتحة من القميص عند الصدر، وبذلك يكون المقصود هو تغطية الصدر. وكلمة الخمار في الآية فمراده في اللغة هوكل ماستر وليس مقتصرا على غطاء الرأس. وأمّا الزينة فقد اختلف العلماء والمفسرون في بيان المراد بها فيحدد الدكتور شحرور زينة المرأة اعتماداً على مفهومها اللغوي ويقسمها إلى قسمين: الزينة الظاهرة والزينة المخفية، وأمّا الزينة الظاهرة " فما ظهرمن جسد المرأة بالخلق أى ماأظهره الله سبحانه وتعالى في خلقها كالرأس والبطن والظهر والرجلين واليدين" (١٤) وأمّا الزينة المخفية فهو الجيوب ويجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها يعني لايبدى زينتها المخفية لغيرالمحارم . وقال المفتي صالح بن فوزان(١٥)" فالمراد بذلك الزينة التي تلبسها المرأة لازينة الجسم وإنّما المراد بالزينة الظاهرة هي الزينة التي تلبسها المرأة إذا ظهر منها شئ بغير قصد . فانّها لاتؤاخذ على ذلك، ولكن إذا تعمدت إخراجه وإظهاره فإنها تأثم لما في ذلك من الفتنة للرجال" .(١٦) والحقيقة أن

الحجاب في الإسلام هو رمز للحشمة والعفة للمرأة، فالقرآن يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر والعفة وأمر المؤمنات أن يدنين بحجابهن على جيوبهن. ووضّح القرآن أنّ الحجاب يحمي المرأة ويحافظ على عفتها، قال الله تعالى في كلامه المجيد: ((يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا))(١٧) فالغرض من الحجاب في الإسلام هو حماية المرأة، بل هو دليلاً على العفة والكرامة لحماية كل النّساء المسلمات . فالقرآن حريصٌ جدّاً على حماية المرأة . فهذا عام لجميع النساء من أمهات المؤمنين وبنات الرسول ﷺ وغيرهن من نساء المؤمنين، فالحجاب في الجملة واجب بإجماع المسلمين.

قد اتّفق العلماء أن كل بدن المرأة ماعدا الوجه والكفين يجب ستره بالحجاب .وأما الوجه والكفان فقد اختلف فيهما العلماء فمنهم من جعله خارج الستر، ومنهم من أوجب سترهما. الآن هنا نذكر آراء العلماء فيها شيئاً، قال أحمد بن غنيم في الفواكه الدواني: "اعلم أنّ المرأة إذا كان يخشى من رؤيتها الفتنةوجب عليها ستر جميع جسدها حتى وجهها كفيها، وأما إن لم يخش من رؤيتها ذلك، فإنّما يجب عليها ستر ماعداوجهها وكفيها"(١٨) قال ابن العربي-رحمه الله-: "والمرأة كلها عورة بدنها وصوتها فلا يجوز كشف ذلك إلّا لضرورة أولحاجة كالشهادة عليها أو داء يكون ببدنها أوسؤالها عما يعن ويعرض عندها"-(١٩)

وكذلك القرطبيّ ذهب إليه أيضًا في تفسير آية الحجاب . وكذلك موقف الإمام محمدعبده أن الإسلام قد شرع ضرب الخمر على الجيوب كما هو واضح وصريح في الآية ٣٠-٣١من سورة النور، أمّا تغطية الوجه فليست من الإسلام في شئ . لعلّ الإمام محمد عبده استشهد من هذا الحديث"ياأسماء،إنّ المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلاهذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكيفه"(٢٠) وبعضهم يدخل الوجه في الستر، وهم يقولون أن يستلزم أن تغطي المرأة وجهها ونحرها ولا يظهر شئ من جسمها، لأنّ الوجه أعظم زينة في جسم المرأة ، وهو محل الانظار، وهو محل الفتنة، وهو مركز الحسن والجمال، ويجعلون أن الوجه يجب ستره.أمّا الوجه والكفان فقد اختلف فيهما العلماء فمنهم من جعله مندوبًا، ومنهم من أوجب سترهما. والله يعلم بالصواب.

وأمّا الحجاب في شعرالزهاوي فقد دافع عن حقوق المرأة وطالبها بترك الحجاب

(ويقصد به النقاب الذي يخفي معالم الوجه) وأسرف في ذلك . وهو يدعوإلى حضور المرأة في المجتمع سافرة، والشاعر يدعو أيضاًإلى ترقية مكانة المرأة وتثقيفها موضّحًا دورالمرأة الاجتماعي، حيث قال:

أسفري فالحجاب يابنة فهر هو داء في الاجتماع وخيم
كل شئ إلى التجدد ماض فلماذا يقرهذا القديم؟
اسفري فالسفور للنّاس صبح زاهروالحجاب ليل بهيم
اسفري فالسفور فيه صلاح لفريقين ثم نفع عميم
زعموان في السفور انثلاما كذبوا فالسفور طهر سليم
انزعية ومزقيه فقد أنكر ه العصر ناهضًا والحلوم
وارحمي من يلومك فيه إنّ شيطان اللائمين رجيم
لم يقل بالحجاب في شكله هذا في ولا ارتضاه حكيم
هو في الشرع والطبيعة والاذوا ق والعقل والضمير ذميم
السفورالسفور فالهلك للشعب أخيراً بدوته محتوم (٢١)

إن الزّهاوي يجعل عمل التربية والتعليم أعلى من الحجاب في بيته التالي . وهو يرى أنّ الحجاب لايحافظ عفة الفتاة بل التربية والتعليم يحمي عفة الفتاة ويقيها. كما قال اللّه تبارك وتعالى في كلامه المجيد "ولباس التقوى ذلك خير"(٢٢) حيث قال: لايقي عفة الفتاة حجاب بل يقيها تثقيفها والعلوم.(٢٣)

قد نظم الزهاوي قصيدة أخرى "الحجاب والسفور" الذي نقد فيها الحجاب وحثّ النّساء على السفور، ويدعو البنات إلى تمزيق الحجاب والظهور في محافل الحياة سافرات، لأن الحجاب كان حارساكذابا لصون شرف المرأة وحياتها، ويريد منها كشف حجابها عن وجهها ودخولها إلى ميادين الحياة الاجتماعية الجديدة سافرة كفتاة مهذبة مثالية التي تؤدّي دورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الجديد . نحترتُ من بينها النموذج التالي:

مزقي يا ابنة العراق الحجابا وأسفري فالحيلة تبغي انقلابا
مزقيه واحرقيه بلاريث فقد كان حارسا كذابا

أسرف الشيب في الحجاب فجاءت تبتغي منهم الشباب حسابا
ان هذا الحجاب ان كان يرضي الشيب فاليوم ليس يرضي الشبابا
قد أساء الشيوخ في المرأة الظن فسنّوا لها الحجاب عقابا
انهم شددوا النكير عليها انهم ضيقوا عليها الرحابا(٢٤)

ثم نادى برمي الحجاب بل تبمزيقه ويقول في قصيدة "تباشير الانقلاب":

من بعد ماانتظرتُ حقابا ثارت ممزّقت الحجابا
عربية عرفت أخيراً كيف تبتذ ما أرابا
كان الحجابُ يسومها خسفًا وبرهقها عذابا(٢٥)

قديرى الزهاوى أنّ الحجاب من العادات والتقاليد البالية القديمة، وإنّه ليس من المشروعات الإسلامية ولم يكن جزءً امن الدين. وأيّد مهدى عباس العبيدى هذا القول فى كتابه"حقيقة الزّهاوى" وقال: "انتقد الحجاب ونادى بالسفور فقال إنّ منشاء الحجاب العادات ولم يكن الدين وكذا أنّ الشيوخ لما أساؤا الظن فى المرأة سنّوا لها الحجاب عقابًا".(٢٦) وقول الزهاوى من قصيدة "هزأوابهن":

إنّ هذا الحجاب فى كلّ أرض ضررٌ للفتيان والفتيات
لم يكن وضعُه من الدين شيئًا إنّما قدأتى من العادات

وقال أيضًا عن الحجاب:

ربّ عذراء لست تسمع منها عند تحديثها سوى الزفرات
ولها فى حجابها نظرات يالها فى الحجاب من نظرات

ثم قال:

إنّ هذا الحجاب قبر كثيف حال بين الفتاة والنسمات (٢٧)

ثم نسمع نداء في قصيدة أخرى:

قد عزوتم إلى السفور غروراً طائشًا قد يفضى إلى الهفوات
هل يحول الحجابُ بين التى لم تتثقف والطيشُ فى الرغبات
بل أرى فى الحجابُ تسهيل مانخشونه من نكرٍ على الفتيات

منذ صغرت المرأة الشرقية في نفسها أرادت مستندًا لها من الذكور أبًا أو أخًا أو زوجًا كالنعجة التي لاتستطيع أن ترعى الكلأ إلا إذا رعاها راع فهي تخاف إذا ابتعدت عنه أن يخطفها الذئب. ولهذا قال الزّهاوي في قصيدة "الحجاب والسفور":

وكأن الإناث كن نعاجا وكأن الذكور كنا نواذئابا (٢٨)

كذلك إنّ الزهاوي يعتبر أن المرأة تحاط مشاكل عديدة من المجتمع، وقد حبس المرأة وسجنها في البيت، وعدم السماح لها بالخروج حتى لتأدية أوجب الواجبات فيقول :

هزأوا بالبنات والأمهات وأهانوا الأزواجَ والأخواتِ

سجنوهنّ في البيوت فشلّوا نصف شعبٍ يهمّ بالحركات

منعوهنّ أن يرين ضياءً فتعوّدن عيشة الظلمات

دفنوهنّ قبل موتٍ مريحٍ في قبور سُودٍ من الحجراتِ(٢٩)

قد بين الزّهاوي في قصيدته "ضلّوا وأضلّوا" عن بخس المجتمع لحقوق المرأة في شتى مجالات الحياة، فيقارن بين المرأة الشرقية وبين المرأة الغربية التي تمتعت بتلك الحقوق كلها، حيث يقول:

الناس في الشرق ضلّوا سبيلهم وأضلّوا

وبالحياة استخفوا وبالحقوق أحلوا

ظنّ النساء رجال صنفا اذا به يحلُ

وانهنّ كحيوا ن ليس يهديه عقلُ

وانهنّ متاع لهم من النفس يخلو

وكل ذلك منهم اذا تأملت جهلُ

أقول والحدّ أبغي والقول حدٌّ وهزلُ

إنّ النساء من القو م للحفاوة أهلُ

وانهنّ نحوم على السلام تدل

وانهن غصون بغيثها يُستظلُ

لولا النساء لمابا ن للحضارة شكلُ

على الشعوب بمرقى تسائها يُستدل

لهنّ في الغرب عز نحم وفي الشرق ذلُّ
لاتبخسو هن حقا فليس في البخس عدلُ
فالمرأة اليوم للمرء في الحقيقة مثلُ
وانها عنه في الفهم والحجى لاتقل (٣٠)

إنّ الزّهاوي يريدأن يعطي المرأة مكانة رفيعة في المجتمع، كماهي في المجتمع الغربي التي تحصل فيه حقوقها كلها بسهولةٍ، ولذلك يدعو المرأة بترك الحجاب وخروج من البيت إلى الحياة الاجتماعية بجانب الرجل لكي تشارك مع الرجال في كلّ مجالات الاجتماعية. في الحقيقة قد تأثّر الزّهاوي من المغرب تأثراً شديداً، ولهذا يذكر حالة المرأة في أوربا بالأبيات التالية، فيقول فيها:

للمرأة اليوم في مجلس القضاء محل
للمرأة اليوم في البرمان عقدٌ وحلُ
للمرأة اليوم في استكشاف الحقائق شُغلُ
للمرأة اليوم في تحسين الحضارة فضلُ
وإنها من علُوٍّ على الرجال تطلُ (٣١)

في الأبيات التالية يقارن الزّهاوي حال المرأة بما هو عليها في المغرب حيث للمرأةاحترامها ومكانتهاوفرصها المتكافئة ، ومع ذلك تمتع المجتمعات الأوروبية بإسهام الجنسين في العمل على الحياة الاجتماعية، حيث يقول:

في الغرب حيث كلا الجنسين يشتغل لايفضل المرأة المقدامة الرجل
كلا القرينين معتز بصاحبه عليه إن نال منه العجز يتكل
وكل جنس له نقص بمفرده أما الحياة فبالجنسين تكتمل
أما العراق ففيه الأمر مختلف فقد ألم بنصف الأمة الشلل(٣٢)

ولعلّ جميل صدقي الزهاوي كان في الطليعة من المندفعين إلى تأييد السفور، فقد نُشرت مقالته تحت عنوان"المرأة والد فاع عنها" في جريدة "المؤيد" المصرية يدعوفيه إلى تحريرالمرأة وتأييد سفورها دون قيدأوشرطٍ، فقامت ضجة عنيفة في بغداد عن تلك المقالة حتى أنّ والي بغداد العثماني فصل الزهاوي بسبب مقالته تلك من وظيفته في مدرسة الحقوق.

ولعلّ الزهاوي هو أكثر شعراء جيله تأييداً للسفور حتى أنه نظم قصائد كثيرة في الموضوع، وسنعرض الآن نماذج مزيدة من تلك القصائد. ويقول في قصيدته "مافي السفور معرة" ولعلّ هذه القصيدة أكثر قصائد الزهاوي في موضوع السفور:

الـويـلُ لـلأنثـى الـضـعـيـفة ... مـن قـسـوة الـذكـر الـعـنـيـفة
إنـي لأخشـى أن يـلاقـي ... الـروض ف يـوم خـريـفـه
كـل امـرئ هـو آكـلٌ ... فـي هـذه الـدنيـا رغـيـفـه
مـا أطيـب الـرزق الـذي ... تـعـطية أعـمـال شـريـفـه
إنّ الـزهـور عـلـى الـسـفـور ... نـقـية مـنهـا الـصـحـيـفة
مـافـي الـسـفـور مـعـرة ... تـخشـى عـلـى امـرأة عـفـيـفة
ليسـت مشـابـعة الـطبيعة ... فـي عـفـافٍ بـالـمخيفة
إنّ الـنـظـيـفة فـي قـرارة ... نـفـسهـا، تبـقـى نـظـيـفة(٣٣)

كذلك قال الزهاوي في قصيدة "تباشير الانقلاب":

سـألـت لهـا حـرية ... مـنهـم، فـمـا لـقيت جـوابـا
حتـى إذا مـا استيـأسـت ... خـرقـت بـأيـديهـا الـنـقـابـا
فـرأت أمـام سـفـورهـا ... لـلـمـجـد أفـنية رحـابـا
إن الـحـيـاة لتبتـغـي ... فـي عـصـرنـا هـذا انـقـلابـا
ظهـرت تبـاشيـر لـه ... تبـنـي الـمـنـى مـنهـا قـبـابـا
عـزوا الـحـجـاب إلـى الـكتـاب ... فـليتهـم قـرأوا الـكـتـابـا
مـا كـان خـدرك غيـر سـجـنٍ ... مـظـلـم يـولـي اكـتـئـابـا(٣٤)

وفي هذه الرباعيات قدري الزهاوي أنّ الحجاب يُذهب الشعب به إلى التخلّف والتأخّر، ويقول فيها:

ليس ترقى الأبناء في أمة ما
لم تكن قد ترقتِ الأمهاتُ
أخّرَ المسلمين عن أمم الأرض
حجاب تشقى به المسلماتُ (٣٥)

ثم يقول في مقام آخر بقصيدة "ثورة في الجحيم":

قيل : هل في السفور: نفعٌ يرجى قيل: خير من الحجاب السفورُ

إنما في الحجاب شَلٌّ لشعبٍ

وخفاءٌ ، وفي السفور ظهورُ

كيف يسمو إلى الحضارة شعب منه نصف عن نصفه مستور

ليس يأتي شعبٌ جلائل مالم

تتقدم أنثاه والذكورُ (٣٦)

وقصيدته "يا ابنة يعرب" التي يقول فيها:

القوم يا ابنة يعرب من جهلهم وأدوك وأدا

حجبوك عن أبناء نو عك حاسبين الغّي رشدا

سجنوك في بيت أريد بضيقه ليكون لحدا(٣٧)

وتحدّث الدكتور ناصر الحاني عن هذا الموضوع وأشاد بدعوة الزّهاوي ومطالبة بتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة (٣٨) واستشهد بقوله:

إنما المرأة والخمر ء سواء في الحداره

علموا المرأة فالخمر أة عنوان الحضاره(٣٩)

تلك أهم النماذج من شعر جميل صدقي الزهاوي التي يدعوفيها المرأة إلى السفور وبترك الحجاب في المجتمع. ولكن هنا أمر عجيب ونقطة مهمة بحسب الموضوع وهو ذلك التناقض الموجود في شخصية الزهاوي، قال الأستاذ روفائيل بطي عنها: "إنّ الزهاوي لم يكن يوافق بين آرائه وتصرفاته الشخصية في كثير من المواقف وضرب لذلك مثلا دعوته الملحّة إلى السفور ولكنه في ذلك الوقت لم يأذن لزوجته بترك الحجاب".(٤٠)

وأما مضار الحجاب عند الزهاوي فكتب مقالة طويلة بعنوان" المرأة والدفاع عنها" عقدفيها فصلاً بعنوان"مضار الحجاب" وأوردفيها بعض المظالم التي تتعرض لها المرأة. وهذه مضار الحجاب تشتمل على نقاط عديدة، ومن أهمّها:

وأوّلها أنّ المرأة المحجوبة إذا مشت إلى محل الريبةفلا تخشى أن يعرفها أحد في الطريق وأما المكشوفة فهي تخاف على شرفها من الدخول في باب الرّيب لأنّ الناس ينظرإليها ويعلمون

أنها بنت فلان وأخت فلان. والثاني أنّ الحجاب منع والإنسان ولوع بالممنوع، وأمّا المكشوفة فلما كان النظرإليها عادة لم يحرص الرجل على معرفة ماتحت الحجاب والتمتع به. والثالث أنّ الحجاب يسئ ظن الغربيين بنا أنّ المسلمين لايثقون بعفةنسائهم فلما وضعوا عليهنّ أثقال الحجاب وأحفوهنّ عن عيون تطمع إلى وجوههن، وهو عندهم دليل ثقة المسلمين بعفة نسائهم. (٤١)

والرابع أنّ الحجاب سبب لعدم الاختلاط وعدم الاختلاط سبب للجهل، وهل يرجى النهوض لأمة نصف أهلها جاهلات؟ والخامس أن المرأة المحجوبة تفقد الثقة بالرجل فلا يكبر عليها أن تخونه. والسادس أنّ الحجاب مخالف للطبيعة وأضعاف للبصر الذي هو أهم الحواس التي يتجهزبها الإنسان لكفاح الحياة.(٤٢) والسابع أنّ الحجاب سبب في الأكثر لتنافر الزوجين فلايعيشان في مقام وئام لأنهما لم يقترنا بانتخاب الواحد للآخر. والثامن أن الحجاب سبب لاعتزال النساء وما ينجم عنه من انحرافات في الوسطين. (٤٣)

قد يتضح لنامماسبق أنّ الحجاب فرض الإسلام على كل إمرأة مسلمة، وألا تخرج من بيتها بغير حاجةٍ. وهذا القول ثابت من الآيات الكثيرة الواردةفي القرآن الكريم بوضوح، كماذكرنا ها في الصفحات السابقة. فالغرض من الحجاب في الإسلام هو حماية المرأة، بل هو دليلٌ على العفة والكرامة لحماية كلّ النّساء المسلمات، والإسلام حريصٌ جدّاً على حماية المرأة. قداتّفق العلماء على أن كل بدن المرأة ماعدا الوجه والكفين يجب ستره بالحجاب. وأمّا الوجه والكفان فقد اختلف فيهما العلماء فمنهم من جعله مندوبا ومنهم من أوجب سترهما. والله يعلم بالصواب.

وأمّا الحجاب في شعر الزّهاوي فكانت المرأة في عصره حبيسة محجوزة في بيتها، كانت تعيش حياة الذلّة، هي محرومة من أبسط حقوقها وميراثها ولا مكانة لها في المجتمع، ولايجوزلها الخروج من بيتها، ولا يحق لها أن تظهر أمام الرجال، وتشاركهم في العمل، بل حرمت من التعليم والعمل، كانت المرأة في ذلك الوقت تعيش تحت وطأة العادات البالية في المجتمع العراقي.

عندما ننظر الزهاوي حالة المرأة دافع عن حقوقها وطالبها بترك الحجاب فمراده النقاب به الذي يخفي معالم الوجه. وهويدعو إلى حضور المرأة في المجتمع سافرة. إن

الزهاوي يجعل عمل التربية والتعليم أعلى من الحجاب فديري أنّ الحجاب لايحافظ عفة الفتاة بل التربية والتعليم يحمي عفتها ويقيها من الذنوب. قال اللّٰه تبارك وتعالى في كلامه المجيد "ولباس التقوى ذلك خير" وأمّا الحياء فهو جزءًا من الإيمان، والحياء يكون في العينين، ولذلك يقول أن الحجاب أي النقاب كان حارسا كذابا لصون شرف المرأة وحيائها. ويريد منها كشف حجابها عن وجهها ودخولها إلى ميادين الحياة الاجتماعية الجديدة سافرة كفتاة مهذبة مثالية التي تؤدّي دورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الجديد.

فديري أن الحجاب من العادات والتقاليد البالية، وإنّه ليس من المشروعات الإسلامية. ولم يكن جزءا من الدين. ويقارن بين المرأة الشرقية والغربية التي تمتعت بتلك الحقوق كلها، ويريد الزهاوي أن يعطي المرأة مكانة رفيعة في المجتمع، كما هي في المجتمع الغربي، لأنّ حصول التسهيلات هناك بسهولة للمرأة. لعل الزهاوي يتأثّرمن الثقافة الغربية تأثّراً شديداً ولذلك يدعو المرأة إلى جانب الرجل لكي تشارك مع الرجال في كل مجالات اجتماعية، فديفهم أن الحجاب احتكاكًا وحاجزاً بين المرأة والمجتمع لأن المرأة تصف الشعب لايمكن الرقي والتقدم بغيرها ولاتشكل الثقافة الرفيعة بدونها.

الهوامش

١ـ الأفريقي، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت :دارالنشر، دارالصادر، ط١، ج١، ص٢٩٨ـوأنظر مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، بيروت: دارالنشر،١٩٩٥م،ط١، ج١، ص٥٢ـ

٢ـ المناوي، محمد عبدالرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، بيروت:دارالفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠ هـ، ص٢٦٨ـ

٣ـ الكفوي، أبو البقاء، كتاب الكليات، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٦٨

٤ـ النووي، أبوزكريا يحي بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت:داراحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ، ط٢، ج٣، ص٢١٠ـ

٥ـ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دارالهداية، تحقيق مجموعة من المحققين، ج٤، ص٢٩٦ـ

٦ـ المصدر السابق نفسه، ج٢، ص١٧٥، وأنظر لسان العرب، ج١، ص٢٧٣ـ

٧۔ القرطبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دارالشعب، ج١٤، ص٢٤٣

٨۔ الإسراء، الآية ٤٥

٩۔ الشورى، الآية ٥١

١٠۔ الأعراف، الآية ٤٦

١١۔ النور، الآية ٣١

١٢۔ الأحزاب، الآية ٣٣

١٣۔ السيوطي،جلال الدين، الدرالمنثور في التفسير بالمأثور، بيروت:دارالكتب العربي، ج٥، ص٤٢

١٤۔ شحرور، الدكتور محمد، الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، دمشق: الأهالي للطبع والنشر والتوزيع، ط٧، ١٩٩٤م، ص ٦٠٦-٦٠٧

١٥۔ هو الشيخ الدكتور صالح بن فوزان ولد عام ١٣٥٤ء وهومن أهل الشمالية بالقصيم بالقرب من مدينة، عضو في هئية كبارالعلماء، وعضو في المجتمع الفقهي بمكة المكرمة.

١٦۔ الفوزان، مفتي صالح بن فوزان، ماحكم الحجاب في الإسلام، Ejabat.google.com

١٧۔ الأحزاب، الآية ٥٩

١٨۔ النفراوي، أحمد بن غنيم بن سالم المالكي، الفواكة الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، بيروت: دارالفكر، ١٤١٥، ج٢، ص٢١٤

١٩۔ ابن العربي، أبوبكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن،لبنان: دارالفكر للطباعة والنشر، تحقيق، محمد عبد القادر، ج٣، ص ٦١٦

٢٠۔ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ج٥، ص٤٢

٢١۔ الزهاوي، جميل صدقي، اللباب، بغداد: مطبعة الفرات، ١٩٢٨م، ص٢٣٥۔٢٣٦

٢٢۔ الأعراف، الآية: ٢٦

٢٣۔ ديوان اللباب، ص٢٣٦

٢٤۔ المصدر السابق نفسه، ص ٣٣١۔٣٣٢

٢٥۔ الزهاوي، جميل صدقي، الأوشال، بيروت: دارالعودة، ١٩٧٢م، ص ٦٠١

٢٦۔ العبيدي، مهدي عباس، حقيقة الزّهاوي، بغداد: مطبعة الرشيد، ١٩٤٧م، ص٥٣

٢٧۔ الزهاوي، جميل صدقي،ديوان الزّهاوي، مصر: المطبعة العربية، ١٩٢٤م، ص٣٠٩

٢٨ـ ديوان اللباب، ص٣٣٧

٢٩ـ ديوان الزهاوي، ص ٣٠٩

٣٠ـ ديوان الزهاوي، ص٣١١ـ٣١٢

٣١ـ المصدر السابق نفسه، ص٣١٣

٣٢ـ ماوجدتُ هذه الأبيات في ديوان الزهاوي، ولكن قد ذكرها الدكتور مفيد مسوح في مقاله"الشاعر والفيلسوف الزهاوي نصير المرأة " Massouh@emirates.net،ص٣

٣٣ـ لاتوجدهذه الأبيات في ديوان الزهاوي وقد ذكرها محمد جواد الغبّان في مقاله "تحرير المرأة في الشعر العراقي المعاصر" وهو كاتب من العراق. www.aliraqi.org

٣٤ـ الأوشال، ص٦٠١

٣٥ـ مقالة تحرير المرأة في الشعر العراقي المعاصر ، لمحمد جواد الغبان. أنظر ديوان الزهاي، ص٤٠٧

٣٦ـ المصدر السابق نفسه

٣٧ـ ديوان الزّهاوي، ص ٣١٦

٣٨ـ الحاني، د ـناصر، دراسات في الشعر والنقد، لبنان: صيدا، ص ٥١

٣٩ـ ديوان الزّهاوي، ص ٣٩٧

٤٠ـ ناجي، هلال، الزهاوي وديوانه المفقود، القاهرة: دارالعرب البستاني، ص ٣٠٣

٤١ـ الرشودي، عبد الحميد، الزّهاوي دراسات ونصوص، قدّم له د. يوسف عزّ الدن، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٦٦م، ص ١١٥ـ١١٦

٤٢ـ المصدر السابق نفسه، ص ١١٦ـ١١٧

٤٣ـ المصدر السابق نفسه، ص١١٥ـ١١٦